

Political Ideology According to the Divine and Material Worldview

Haydar Husaini

Phd Candidate in Political Jurisprudence, Al-Mustafa International University, Iraq.

E-mail: skhalili938@gmail.com

Abstract

This paper discusses political ideology according to two worldviews: the divine and the material. The importance of this study stems from two aspects. First: the importance of a worldview and its fundamental effect in the ideological system a person has in all his theoretical and scientific dimensions. Second: the major importance political ideology has, which is the ideology that influences the formulation of theories and political stances. It is clear that politics holds a central importance in a human's life, throughout history, because a human is social in nature, so he cannot be without political order and laws in its general sense. This study has more importance in the time we are in now, where we see a clear increase in the influence of politics and political ideology in every aspect of our lives. This research aims at conducting a comparative study between two fundamental types of worldviews, and they are the divine worldview, and the material worldview, and it argues that each of these two worldviews lead to a political worldview that is different theoretically, in its foundations and theories, and also different in practice, as far as its methods, means and practical results, in what each worldview leads to.

The methodology used in this paper is a comparative study methodology, comparing between the divine worldview and the material worldview.

Keywords:Worldview, Divine Worldview, Material Worldview, Political Ideology.

Al-Daleel, 2024, Vol. 7, No. 1, PP. 123-157

Received: 02/04/2024; Accepted: 29/04/2024

Publisher: Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

©the author(s)



الأيدولوجيا السياسية في ضوء الرؤية الكونية الإلهية والمادية

حيدر الحسيني

طالب دكتوراه في الفقه السياسي، جامعة المصطفى العالمية، العراق.

البريد الإلكتروني: skhalili938@gmail.com

الخلاصة

يتناول هذا المقال دراسة الأيدولوجيا السياسية في ضوء الرؤيتين الكونيتين الإلهية والمادية، وأهمية هذا المقال تنشأ من جهتين، الأولى: أهمية الرؤية الكونية وتأثيرها الأساسي في المنظومة الفكرية للإنسان في مختلف المجالات النظرية والعملية، والجهة الثانية: الأهمية الكبرى التي تحظى بها الأيدولوجيا السياسية، وهي الأيدولوجيا المؤثرة في صناعة النظريات والمواقف السياسية، ومن الواضح أن السياسة حظيت بأهمية محورية في حياة الإنسان على مرّ العصور؛ لأنّ الإنسان كائن اجتماعي بالطبع فلا يمكنه الاستغناء عن النظم والقوانين السياسية بمعناها العام، ويزداد البحث أهمية في عصرنا الراهن الذي شهد زيادة واضحة في تأثير السياسة والأيدولوجيا السياسية في كلّ نواحي حياتنا، ويسعى هذا المقال إلى إجراء دراسة مقارنة بين النمطين الأساسيين من الرؤية الكونية، وهما: الرؤية الكونية الإلهية، والرؤية الكونية المادية، ويقوم بإثبات أنّ كلّ واحدة من هاتين الرؤيتين الكونيتين تؤديّ إلى أيدولوجيا سياسية تختلف في الجانب النظري - من حيث المباني والنظريات، وكذلك في الجانب العملي من حيث الطرق والأساليب والنتائج العملية - عمّا تؤديّ إليه الرؤية الكونية الأخرى. والمنهج الذي عملنا وفقاً له في هذا المقال هو المنهج التوصيفي والتحليلي للمقارنة بين الرؤيتين الكونيتين الإلهية والمادية.

الكلمات المفتاحية: الرؤية الكونية، الرؤية الكونية الإلهية، الرؤية الكونية المادية، الأيدولوجيا، السياسة.

مجلة الدليل، 2024، السنة السابعة، العدد الأول، ص. 123 - 157

استلام: 2024/04/02، القبول: 2024/04/29

الناشر: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث

© المؤلف



المقدمة

لا ريب أنّ الإنسان كائن يسعى وراء الكمال، بل هو الهدف الأسمى الذي يسعى وراءه، ومن هنا لا بدّ قبل كلّ شيء معرفة كمال الإنسان الحقيقي، والشرط الأساسي لمعرفة كمال الإنسان هو معرفة الإنسان نفسه، فما لم نعرف الإنسان لا يمكننا معرفة كماله، فمن يرّ الإنسان ذا بُعدٍ واحدٍ وهو البُعد المادّي، ويقم بتفسير جميع الحالات النفسية والروحية للإنسان بتفسيرات مادية صرفة، يفسّر كماله بالكمال المادّي فقط، وذلك خلافاً لمن يرى أنّ الإنسان ذو بُعدين أحدهما مادّي، والآخر معنوي وروحي مجرّد عن المادّة، وهو البُعد الحقيقي وجوهر الإنسانية؛ فإنّه يفسّر كمال الإنسان تفسيراً آخر يختلف تماماً عن مجرّد الكمال المادّي، ويرى أنّ كمال الإنسان بكمال روحه وحالاته المعنوية، كما أنّ الإنسان محبّ بطبعه للسعادة وطالبا للراحة النفسية والمادية، ومن الواضح أنّ الكمال أمرٌ حقيقيّ ويقابله النقص، وأمّا السعادة فهي شعورٌ وإحساس داخلي يشعر به الإنسان عند تحقّق بعض الأمور من قبيل النجاح والربح، ويمكن القول إنّ الكمال مبدأ للسعادة، أي أنّه يؤدّي إلى الشعور بالسعادة، فالعلم كمالٌ يؤدّي إلى الشعور بالسعادة، وأمّا فيما يرتبط بمحلّ بحثنا فنقول إنّ الأيدولوجيا السياسية (Political ideology) يمكن أن تكون من مبادئ ومقدّمات تحقيق الكمال للإنسان وما يستتبعه من سعادة، فإنّ الأيدولوجيا عامّة والسياسية منها خاصّة إذا أقيمت على رؤية كونية صحيحة فإنّها ستؤدّي إلى تأسيس نظريات صحيحة، ويستتبع ذلك نتائج نافعة تُساعد في تحقيق كمال الإنسان وسعادته، وأمّا لو كانت الرؤية الكونية (Worldview) خاطئة، فإنّ الأيدولوجيات الناشئة عنها والنظريات القائمة على أساسها تكون فاسدة، وتكون نتائجها العملية وخيمة على الإنسانية، والرؤية الكونية الصحيحة هي التي تُلاحظ الوجود كلّها لا تتجاهل أو تُنكر منه شيئاً، كما أنّها لا تُضيف إليه شيئاً وهمياً غير موجود؛ لأنّ إنكار شيء من مراتب الوجود أو إثبات ما ليس بموجود يؤدّي كلاهما إلى رؤية كونية ناقصة أو وهمية، والرؤية الكونية المادية تتجاهل أهمّ قسَمي الوجود، ألا وهو الوجود المجرّد، وعالم ما وراء الطبيعة الذي هو بحسب التحقيق الفلسفي أعلى مرتبة من الوجود المادّي؛ لأنّه علّة له ومتقدّم عليه، كما أنّ الوجود المجرّد له مراتب أيضاً أعلاها⁽¹⁾ واجب الوجود (الله تعالى) الذي هو علّة العلل ومنشأ كلّ وجودٍ وكمالٍ وخيرٍ وسعادة، كما في قوله تعالى:

(1) قال الشيخ فياضي في "شرح نهاية الحكمة": «فالطولية هي مراتب الوجود التي كلّ سابقة منها أقوى من لاحقها، وعلّة لها، وكلّ لاحقة منها أضعف من سابقها، ومعلولة لها» [الطباطبائي، محمد حسين، نهاية الحكمة، ج 1، ص 88 مع تعليق الشيخ غلام رضا فياضي].

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [سورة الرعد: 16]، فإن من يتجاهله أو يُنكر وجوده تكون رؤيته الكونية ناقصةً، ونتائجها ناقصةً طبعاً.

اتضح أنّ الرؤية الكونية الصحيحة هي الأساس لكلّ بناء فكري وعملي، ونحن نرى أنّها الرؤية الكونية الإلهية؛ لأنّها قائمة على البراهين والأدلة القطعية، وبناءً على تلك البراهين تتبنى هذه الرؤية سعة عالم الوجود واشتماله على بُعد أعلى من الوجود المادّي، كما تلاحظ هذه الرؤية الوجود الحقيقي كلّ لا تتجاهل منه شيئاً، وتُلاحظ الإنسان ببعديه المادّي والمعنوي، وترى أنّه روح وجسد، وتسعى إلى تلبية احتياجات كلا القسمين مع التركيز بنحو أكبر على الروح؛ لأنّها حقيقة الإنسان وجوهره وموطن كماله وسعادته الأبدية، مع عدم إغفالها احتياجات البدن لما لها من أهميّة في حياة الإنسان المادّية، ومن تأثير على الروح، ونحن نحاول في هذا المقال بعد بيان المفاهيم أن نستعرض أهمّ الاختلافات بين الرؤيتين الإلهية والمادّية فيما يؤدّيان إليه من أيدولوجيات سياسية، ثمّ نذكر أهمّ النتائج التي تتمخض عنهما.

والهدف من هذا المقال هو تسليط الضوء في دراسة مقارنة على الرؤيتين الكونيتين المتقابلتين وهما الرؤية الكونية الإلهية، والرؤية الكونية المادّية، ودراسة تأثيرهما في بناء الأيدولوجيا السياسية، فالرؤية الكونية الإلهية تختلف عن الرؤية الكونية المادّية فيما ينشأ عنها من أيدولوجيات سياسية، وبما أنّ المسألة المحورية في السياسة هي الحكم والسلطة ومنشأ مشروعيتها، فلا بدّ أولاً من البحث عن منشأ مشروعية الحاكمية والسلطة.

اتضح ممّا مرّ أهميّة الأيدولوجيا السياسية؛ لأنّها تقع ضمن مقدّمات تحقيق الكمال والسعادة للإنسان، والأيدولوجيا السياسية إذا أقيمت على رؤية كونية صحيحة تؤدّي إلى نظريات سياسية صحيحة، كما تؤدّي إلى نتائج عملية نافعة للإنسان في دنياه وآخرته.

والمنهج الذي اتبعناه في هذا المقال هو منهج الدراسة المقارنة بين الرؤيتين الكونيتين الأساسيتين وهما الرؤية الكونية الإلهية، والرؤية الكونية المادّية.

المبحث الأوّل: المفاهيم

الرؤية لغةً: تنقسم الرؤية إلى قسمين رؤيةً بالعين وهي تختصّ برؤية الأشياء المادّية، ورؤية معنوية وهي بمعنى العلم والمعرفة، قال في صحاح اللغة: «الرؤية بالعين تتعدّى إلى

مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين. يقال: رأى زيدًا عالمًا» [الجوهري، الصحاح، مادة رأى]، وقد ورد نفس هذا النص في لسان العرب وأضاف في اللسان: «الرؤية النَّظْرُ بِالْعَيْنِ وَالْقَلْبِ» [ابن منظور، لسان العرب، مادة رأى].

الرؤية في بحثنا: اتضح من كلام اللغويين أنّ للرؤية معنيين أساسيين وهما الرؤية بالعين وتختص بالأشياء المادية وتتعدى إلى مفعول واحد، والرؤية بمعنى العلم والإدراك، وتتعدى إلى مفعولين ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سورة سبأ: 6]. ومن الواضح مما تقدم أنه يقصد من الرؤية المستعملة في تركيب "الرؤية الكونية" معنى العلم والإدراك.

الكون لغةً: قال في لسان العرب: «الكَوْنُ: الْحَدُثُ...، وَالكَائِنَةُ: الْحَادِثَةُ...، الْكَائِنَةُ: الْأَمْرُ الْحَادِثُ. وَكَوَّنَهُ فَتَكُونُ: أَحَدَثَهُ فَحَدَّثَ...، وَكَوَّنَ الشَّيْءَ: أَحَدَثَهُ...، وَاللَّهُ مُكَوِّنُ الْأَشْيَاءِ يُخْرِجُهَا مِنْ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ» [ابن منظور، لسان العرب، مادة: كون].

الكون اصطلاحًا: قال الجرجاني: «عند أهل التحقيق "الكون" عبارة عن وجود العالم من حيث هو عالم لا من حيث إنه حقٌّ، وإن كان مرادفًا للوجود المطلق العام عند أهل النظر وهو بمعنى المكوّن عندهم» [الشريف الجرجاني، التعريفات، ص 81]. وكذلك «الكون عند أهل النظر مرادف للوجود المطلق العام، ويطلق على وجود العالم من حيث هو عالم، لا من حيث أنه حقٌّ، أو على العالم من جهة ما هو ذو نظام محكم» [صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ص 247].

الكون في الاصطلاح العلمي الحديث: كل ما حولنا، من النجوم التي نراها ليلاً في السماء، والتي تتجمّع في مجموعات تعرف بالمجرات، إلى الفضاء الواقع بين هذه المجرات، وما يوجد به من غازات وغبار كوني، بالإضافة إلى أيّ شيء يقدر له الوجود وراء حدود ما نراه. [مجموعة مؤلفين، الموسوعة الإسلامية العامة، ص 1207]

ويراد من الكون في بحثنا هذا هو المعنى العلمي وهو المعبر عنه بالإنجليزية (worldview) أي النظرة إلى العالم أو الكون، غاية الأمر أنّ نظرة الإلهي للكون، أو الرؤية الكونية الإلهية تُلاحظ العالم بما هو أثر ومعلول لئله، والرؤية الكونية المادية تراه مستقلاً موجوداً بذاته، كما أنّ الكون نفسه يختلف سعةً وضيقةً بين الرئيتين، ففي الرؤية الإلهية تراه يشمل مضافاً إلى عالم المادة عوالم أخرى من المجردات، وأمّا الرؤية المادية، فإنها ضيقة تقتصر على المادة وخواصّها وآثارها.

وبناءً على ما تقدم يمكننا تعريف الرؤية الكونية بأنها: «مجموعة من المعتقدات والنظرات الكونية المتناسقة حول الكون والإنسان، بل وحول الوجود بصورة عامة» [مصباح يزدي، دروس في العقيدة الإسلامية، ص 22]. ومن الواضح أن استعمال الكون في هذا التعريف لا يشمل مطلق الوجود. الإلهية: الإلهية لغة نسبة إلى الإله، و: «الإله، عَلَى فِعَالٍ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ؛ لِأَنَّهُ مَأْلُوهٌ أَيْ مَعْبُودٌ، كَقَوْلِنَا إِمَامٌ فِعَالٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ لِأَنَّهُ مُؤْتَمَّرٌ بِهِ» [ابن منظور، لسان العرب، مادة "أله"].

الإلهية اصطلاحاً: «تطلق على كل من يعتقد بأن مبدء الوجود لهذا العالم هو إله، قادر، عالم، حي، ترجع إليه جميع الكمالات الوجودية في العوالم الإمكانية» [العبود، الرؤية الكونية الإلهية، الدوافع والمناهج، ص 15].

ثالثاً: الرؤية الكونية الإلهية: هذا المصطلح مركب من ثلاث مفردات تقدم بيانها، وعليه يكون المقصود من الرؤية الكونية الإلهية: النظرية التي تعتقد بأن عالم الوجود يشمل عالم المادة، وعالم ما وراء المادة وهو ما يُسمى بعالم ما وراء الطبيعة، وأهم موجود في دائرة عالم ما وراء الطبيعة واجب الوجود أو الإله أو الخالق الذي لولاه لما وجدت الممكنات، وكذلك تؤمن هذه الرؤية بتأثير عالم ما وراء الطبيعة في بناء الأيدولوجيا عامة والسياسية خاصة، كما تؤمن باستمرار حياة الإنسان بعد الموت في عالم آخر وهو عالم الآخرة، فالإنسان كائن دائم الحياة لا يفنى بالموت، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: 64].

رابعاً: الرؤية الكونية المادية وهي النظرية القائمة على الاعتقاد بعالم المادة فقط، وإنكار ما وراء الطبيعة فهي تحصر عالم الوجود بالمادة لا غير ولا تؤمن بما سواها، ومن الطبيعي أنه على أساس هذه الرؤية أنه لا معنى لما وراء الطبيعة، كما أنه لا معنى لأي تأثير لما سوى المادة في بناء الأفكار والأيدولوجيات، وخاصة الأيدولوجيات السياسية، ومن الطبيعي أن الرؤية الكونية المادية لا تؤمن بوجود الروح ولا بعالم الآخرة؛ لأن ذلك كله يدخل فيما وراء الطبيعة الذي تنكره هذه الرؤية⁽²⁾.

خامساً: الأيدولوجيا مصطلح غربي دخيل على اللغة العربية تعني في أصلها علم الأفكار،

(2) أشار القرآن الكريم إلى هذه الرؤية بقوله: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [سورة الأنعام: 29]. ومن الواضح أن الماديين في كل العصور - وخاصة المعاصرين - يرون أن الحياة تقتصر على هذه الحياة الدنيا؛ لأن الإنسان جسد فقط، وإذا مات يتحلل جسده، ولا معنى لاستمرار حياته بعد موته.

لكن معناها شهد تغييرات كثيرة؛ ولذلك نجد لها تفسيرات عديدة [انظر: العروي، مفهوم الأيدولوجيا، ص 9]، ويمكن القول إنّ للأيدولوجيا معنيين اصطلاحيين، أحدهما أعمّ من الآخر:

1- مطلق النظام الفكري والعقدي، فتشمل الأفكار النظرية الخالصة، والأفكار العملية المتعلقة بسلوك الإنسان.

2- النظام الفكري المحدّد لنمط سلوك الإنسان. وعندما تستخدم الأيدولوجيا في قبال الرؤية الكونية، فالمقصود منها هو المعنى الخاصّ الذي يعني مجموعة الأفكار العملية التي تحدّد الشكل العامّ لسلوك الإنسان. [مصباح يزدي، دروس في العقيدة الإسلامية، ص 23]

ونحن نستخدم مصطلح الأيدولوجيا في المعنى الثاني وهو المعنى الخاصّ.

وبناءً على ما تقدّم تكون الرؤية الكونية مجموعةً من النظريات والأفكار المنسجمة حول الكون والإنسان، بل وحول الوجود بصورة عامّة وتدور حول ما هو موجود، والأيدولوجيا هي النظام الفكري العملي أي النظام الباحث في سلوك الإنسان وأفعاله أو ما ينبغي فعله وما لا ينبغي.

سادساً: السياسة لغةً: فقد ورد في لسان العرب: «كان بنو إسرائيل يسوسهم أنبياهم، أي تتولّى أمورهم كما يفعل الأمراء والولاة بالرعيّة، والسياسة القيام على الشيء بما يُصلحه» [ابن منظور، لسان العرب، مادة سوس].

وللسياسة في الاصطلاح تعريفات كثيرة تدور كلّها حول محور السلطة والحاكمية وإدارة شؤون الناس من قبيل تعريفها بأنّها: "فنّ الحكم" كما هو منقول عن سقراط، وكذلك المنقول عن أفلاطون من أنّها "فنّ حكم الناس برضاهم"، وكذلك هي: "علم الحكومة، وفنّ علاقات الحكم". وتطلق على مجموعة الشؤون التي تهتمّ الدولة أو الطريقة التي يسلكها الحكّام. [جاسم زكريا، المدخل إلى علم السياسة، ص 3]

وأما تركيب "الأيدولوجيا السياسية" التي يُعبّر عنها أيضاً بعبارة "المذهب السياسي" فهي بمعنى البرنامج السياسي المتكامل الذي تقدّمه العقيدة أو الرؤية الكونية، وقد استخدم علماء الاجتماع السياسي مصطلح الأيدولوجيا السياسية للإشارة إلى مجموعة مفاهيم نلخصها في «معالجة التساؤلات حول الحاكم وكيف يتمّ اختياره، وما ميادين ممارسة الحكم، كما أنّ الأيدولوجيا السياسية تؤثر في مجموعة من قيم الحياة الرئيسية، وتضمن برنامجاً للدفاع عن النظم الاجتماعية الأساسية وإصلاحها أو هدمها، كما أنّها تعبّر عن الطابع المعياري

والأخلاقي على مستوى الشكل والمحتوى» [أحمد أنور، النظرية والمنهج في علم الاجتماع، ص 8 و9].

المبحث الثاني: أقسام الرؤية الكونية ومقوماتها

أولاً: أقسام الرؤية الكونية

يمكن تقسيم الرؤية الكونية من حيث أسس المعرفة وأساليبها إلى أربعة أقسام:

1 - الرؤية الكونية الفلسفية: وهي الرؤية الناشئة عن النظر والتأمل العقلي البرهاني، فهذه الرؤية الكونية المقصود منها هو ما يتم إثباته بالطريقة العقلية غير التجريبية.

وبما أنّ موضوع الفلسفة هو الموجود بما هو موجود فهي أشمل الرؤى لأنها لا تغفل عن شيء من الوجود، نعم البحث الفلسفي يختص بالأمر الكلية ولا يتعرض للمسائل الجزئية.

2 - الرؤية الكونية العلمية: وهي ما يتوصل إليه الإنسان أو علماء الطبيعة من رؤية عامة حول الوجود من خلال معطيات العلوم التجريبية.

وبما أنّ موضوع العلوم التجريبية موضوعها هو المادة وخواصها، وما يمكن أن يقع تحت المشاهدة والتجربة المادية، فإن الرؤية الكونية القائمة عليها لا تشمل الوجود كله حتى بناءً على أصحاب هذه الرؤية لأن الوجود كله لم ينكشف علمياً حتى الآن، والبحوث العلمية تكتشف أشياء جديدة باستمرار يوماً بعد يوم مما يؤدي إلى تغيير هذه الرؤية تبعاً لها، كما أنّ هذه الرؤية من وجهة نظر الفلسفة الميتافيزيقية تُعدُّ رؤية كونية ضيقة الأفق وناقصة لأنها تختص بطبقة من الوجود، أو بعالمٍ واحدٍ من عوالمه وهو عالم المادة.

3 - الرؤية الكونية الدينية: وهي الرؤية الحاصلة عن طريق النقل أو ما جاءت به الأديان.

وبما أنّ هذه الرؤية الكونية ناشئة من الدين، والدين منشؤه خالق الوجود العالم بكل تفاصيله، فإنها رؤية كونية شاملة.

4 - الرؤية الكونية العرفانية: وهي الرؤية الحاصلة عن طريق الكشف والشهود، وتهذيب النفس والسلوك نحو الله. ويرى أصحاب هذه الرؤية أنها شاملة. لكنها على أقل تقدير تختص بفئة من الناس وهم الذين يتحقق لهم الشهود كما هو واضح. [أنظر: مصباح اليردي،

ثانيا: مقومات الرؤية الكونية الإلهية

بالتأمل في الرؤية الكونية الإلهية يُعلم أنها تستفيد بمستويات مختلفة من مصادر المعرفة الأربعة (العقل، والنقل، والتجربة، والشهود)، وإن كان الثقل الأساسي فيها يقوم على الرؤية الكونية الفلسفية، فإن الرؤية الكونية الفلسفية تُقدّم رؤية شاملة حول الوجود كله، كما أنها قائمة على الاستدلال والبرهان، لكنها تختص بالأمور الكلية ولا تتعرض للجزئيات، ومن هنا يُمكن ملء المناطق التي يكون موضوعها جزئياً بواسطة النقل والتعبّد الذي يمكنه الوصول إلى الجزئيات التي لا تبلغها الفلسفة وبذلك تكتمل الرؤية الكونية الإلهية من خلال التعاضد بين الرؤية الكونية الفلسفية والرؤية الكونية الدينية، وكذلك يمكن الاستفادة من معطيات العلم التجريبي في تفسير أو تكميل الرؤية الكونية الإلهية، وأما الشهود والعرفان والرؤية الكونية العرفانية الناشئة عنه فإنها تُمثّل تجربة شخصية وخاصة ولذلك يتوقف الاستفادة منها تحقيق الحال في العرفان ومبانيه وبعد التسليم بذلك يمكن مساهمتها في بناء الرؤية الكونية الإلهية وإلا فلا، وليس هذا مجال البحث في تحقيق هذه المسألة.

ثالثا: مقومات الرؤية الكونية المادية

المصدر المعرفي الرئيسي الذي تقوم عليه الرؤية الكونية المادية هو الحس والتجربة، وكذلك تعتمد على نوع من الاستدلال العقلي أو الفلسفي، ومن هنا تقوم هذه الرؤية على العلوم التجريبية وخاصة علمين أساسيين وهما:

علم الفيزياء في مجال معرفة المادة ومكوناتها وتفسير العلاقات القائمة بينها وكيفية نشوئها وهل هي أزلية أم لا وما إلى ذلك من تساؤلات. ويتفرّع من الفيزياء علم الكونيات (Cosmology)⁽³⁾ الذي يتصدى لتفسير الفضاء بما يحتويه من كواكب ونجوم ومجرات وغيرها مما يتألف منه الكون المادي بشكل عام.

وعلم الأحياء في تفسير ظهور الحياة والكائنات الحية، وكذلك تقوم بتفسير جميع الظواهر الإنسانية من أخلاق ودين وما إلى ذلك على أساس مادي.

ومن الواضح أنّ هذه الرؤية الكونية ليس فيها أيّ مجال للدين فضلا عن العرفان.

(3) عرّفه في معجم مصطلحات العربية بقوله: "علم الكونيات، الكُزْمولوجيا Cosmology: فرعٌ من الفلسفة ينصبُّ على دراسة القوانين العامة للكون في أصله، وتكوينه، ونظامه". [مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 257].

المبحث الثالث: أنواع الأيدولوجيا ومجالاتها

تقدّم أنّ الأيدولوجيا هي مجموعة الأفكار العمليّة التي تحدّد الشكل العامّ لسلوك الإنسان، فهي النظام الفكري العملي أي الباحث في سلوك الإنسان وأفعاله أو ما ينبغي فعله وما لا ينبغي، وفي ضوء هذا البيان للأيدولوجيا، سنقتصر هنا على أهم أنواع الأيدولوجيا والمجالات التي تؤثر فيها وهي الاجتماع، والاقتصاد، والسياسة:

أولاً: الأيدولوجيا الاجتماعية

المراد من الأيدولوجيا هنا هي تلك الأفكار التي تلعب دوراً هاماً في البعد الاجتماعي، ويمكنها تحقيق الوحدة والانسجام على المستوى الاجتماعي من خلال تحديد مسار الرأي العام نحو وجهةٍ معيّنة وهدفٍ موحدٍ [انظر: خاي قراملي، الأيدولوجيا دراسة في المصطلح والمفهوم وحقول الاستعمال، ص 203].

تتطرق النظريات الاجتماعية في تحليلاتها النظرية إلى بيان القواعد الحاكمة على الأنظمة الاجتماعية، وتقيّم مستوى أدائها، وتعدّ المنظومة القيمية المتغيّر الاساسي في مجال التكامل المرجو للمجتمع أكثر من أي شيء آخر، ولا نبالغ في الحقيقة لو وصفناها بكونها محوراً حقيقياً وارتكازياً للثقافة الشمولية الحاكمة على المجتمع؛ وهذه المنظومة القيمية يمكن تسميتها إيدولوجيا اجتماعية. [انظر: المصدر السابق، ص 205]

ثانياً: الأيدولوجيا الاقتصادية:

إنّ من وظائف الأيدولوجيا في الاقتصاد رسمُ هيكلٍ عامٍ لنظام اقتصادي متناسقٍ، وفي ضوء النمط الأيدولوجي يتبلور النظام الاقتصادي للمجتمع، ومن هنا فإن الأيدولوجيا تساهم في توحيد المنظومة الاقتصادية، كما أنّها تُمثّل معياراً لتقييم الأمور والحكم عليها [انظر: المصدر السابق، ص 184] وتتنوع الأيدولوجيات الاقتصادية إلى رأسمالية، واشتراكية، وإسلامية وغيرها. ومن هنا يُبيّن الشهيد الصدر أنّ الاقتصاد الإسلامي ليس منفصلاً عن الرؤية الكونية والإيدولوجيا قائلاً: "ارتباط الاقتصاد الإسلامي بمفاهيم الإسلام عن الكون والحياة وطريقته الخاصة في تفسير الأشياء، كالمفهوم الإسلامي عن الملكية الخاصة وعن الربح. فالإسلام يرى أنّ الملكية حقّ رعاية يتضمّن المسؤولية وليس سلطاناً مطلقاً. كما يعطي للربح مفهوماً أرحب وأوسع ممّا يعنيه في الحساب المادّي الخالص" [الصدر، اقتصادنا، ص 341].

ثالثًا: الأيدولوجيا السياسية

الأيدولوجيا السياسية هي مجموعة النظريات والأفكار في المجال العملي، والتي تحدّد الشكل العامّ للسلوك السياسي، وعليه فهي النظام الفكري العملي السياسي أي الباحث فيما ينبغي فعله وما لا ينبغي في المجال السياسي. ومن الواضح أنّ الأيدولوجيا تلعب دورًا هامًا في مجال السياسة فهي تُساهم في إيجاد الانسجام والتلاحم في المجتمع، وتؤثّر في تعيين الوجهة السياسية للقادة والنخبة السياسية، كما أنها تُحدد مسار مختلف الشرائح الاجتماعية في هذا المضمار.

[انظر: خاكي فراملي، الأيدولوجيا، ص194]

تقدّم أنّ الرؤية الكونيّة الخاصة تؤدي إلى الأيدولوجيا خاصة تتناسب معها، وأن الكونية الإلهية تنتج عنها أيدولوجيا سياسية تتناسب مع أصولها ومبادئها، كما أنّ الرؤية الكونية الماديّة تؤثر في الأيدولوجيا السياسية ومن ثم في السياسة نفسها ومن هنا يقول أحد الباحثين:

"تؤثر الأيدولوجيا على السياسة بطرق مختلفة. فمن الممكن أن تحمل الأيدولوجيا نظرة أو منظور محدد يمكن من خلاله فهم العالم وتفسيره. وعلى سبيل المثال يمكن القول إن الذين يتبنون النظرية المادية التاريخية لهم طبيعة تفسير للظواهر الاجتماعية والإنسانية وتحليلها، وكيفية التعاطي معها بطريقة مختلفة عن غيرهم. ووفقًا لذلك نرى أن هذه الأيدولوجيات هي المحدد الأساسي للأهداف السياسيّة والمهمة للفعل السياسي أيضًا. من زاوية أخرى فإنّ معظم رجال السياسة يمتلكون أفكارًا، ومعتقدات وقناعات يحاولون طرحها وتطبيقها عند حيازتهم للسلطة" [زلغوط، الأيدولوجيا ووظائفها السياسيّة، مجلة أوراق ثقافية، مجلد 3، عدد 12].

كما يرى عالم الاجتماع كارل مانهايم (Karl Mannheim) أنّ الأيدولوجيا تؤثر في المجال السياسيّ لأنّها: "منظومة فكرية تتعلق بالنظام الاجتماعيّ والسياسيّ القائم دفاعًا عنه، أو تغييرًا له" [غيضان، الأيدولوجيا في الدين والسياسة، مجلة الاستغراب، شتاء 2017].

المبحث الرابع: أثر الرؤية الكونية على الأيدولوجيا السياسية

أولاً: العلاقة بين الرؤية الكونية والأيدولوجيا السياسية

الرؤية الكونية - كما تقدم - هي: "مجموعة من المعتقدات والنظرات الكونيّة المتناسقة حول الكون والإنسان، بل وحول الوجود بصورة عامّة"، وهذه المعتقدات موضوعها الكون

والإنسان، كما أنّ الأيدولوجيا السياسية هي النظام العملي الذي يقوم بتنظيم العلاقة بين السلطة والناس، وكذلك يُنظّم علاقات الناس فيما بينهم، كما تضع الأيدولوجيا السياسية الضوابط المُحددة لتعاملهم مع العالم المحيط بهم بنحو عام فتضع القوانين لضبط هذه العلاقات كلها، ومن هنا تتضح حاجة هذه الأيدولوجيا إلى أن تقوم على رؤية كونية محددة لا محالة. ومن المفروض أن يكون التأثير من جهة واحدة أي أنّ التأثير هو للرؤية الكونية في الأيدولوجيا السياسية فقط، وأما تأثير الأيدولوجيا السياسية في الرؤية الكونية فهو غير منطقي وباطل، لكن ربما يقع بعض الناس في هذا الخطأ المنهجي فتؤثر الأيدولوجيا السياسية التي نشأوا عليها في تبنيهم لرؤية كونية خاصة تتناسب معها، كما هو الحال في تأثير العواطف والمشاعر والتقليد الناشئ عنهما لدى كثير من الناس في تحديد متبنياتهم الفكرية وتحديد هم للحق والباطل، فحبهم للآباء مثلاً يدفعهم إلى تقليدهم ويجعلهم يعتقدون أنهم على حق، مع أنّ الترتيب الصحيح هو معرفة الحق أولاً ثم يتبعه الحب والبغض والسلوك العملي. وبناءً على ما تقدّم يمكن بيان العلاقة بين الرؤية الكونية والأيدولوجيا السياسية من خلال الإجابة عن سؤالين مهمين وهما:

السؤال الأول: هل هناك علاقة بين الرؤية الكونية والأيدولوجيا عامة والسياسية خاصة؟

والجواب عن هذا السؤال هو: "إن أي أسلوب وأية فلسفة في الحياة لا بد أن يكونا مبنيين شئنا ذلك أم أبينا - على لون خاص من الاعتقاد والنظر والتقييم للوجود، وعلى لون معين من التفسير والتحليل...، ويعتمد كل واحد من الأديان والشرائع، والمبادئ والفلسفات الاجتماعية على رؤية كونية معينة". [مطهري، الرؤية الكونية التوحيدية، ص8]

ومن هنا يُعلم أنّ أي نظرية أو فلسفة في الحياة أو أيدولوجيا لا بد من قيامها على رؤية كونية معينة، ويؤدي اختلاف الرؤية الكونية إلى اختلاف الأيدولوجيا الناشئة عنها بلا ريب، وكما هو واضح إنّ أي سلوك عملي يتخذه الإنسان لا بد من قيامه على عقيدة أو رؤية كونية محددة، وهذا الارتباط يُمثّل حقيقة واقعية يدركها العقل بتحليل كل من الفكر والعمل، فيصل إلى نتيجة مفادها أنّ كل عمل لا بد من نشوئه عن فكر وإرادة وهو معنى قولنا أنه لا يمكن نفي هذا الارتباط بين السلوك العلمي والعقيدة.

السؤال الثاني: ما هو نوع العلاقة بين الرؤية الكونية والأيدولوجيا عامة والسياسية خاصة؟

أجيب عن هذا السؤال بعدة أجوبة:

الجواب الأول: الرؤية الكونية تولد بصورة ذاتية أيديولوجيا خاصة بها، أي أنّ الرؤية الكونية علّة تامة للأيدولوجيا، واختلاف الأيدولوجيات نتيجة قهريّة لاختلاف الرؤى الكونية. النقاش: إنّ القول بالعلية التامة غير صحيح، وستتضح عدم صحة هذا الجواب عند بيان الجواب الثالث.

الجواب الثاني: الأيدولوجيا لا علاقة لها بالرؤية الكونية مطلقاً، والمسألة ذوقية فيمكن اختيار أي أيدولوجيا مع أي رؤية كونية.

النقاش: هذا الجواب باطل أيضاً، لأنّ أصل العلاقة بين الرؤية الكونية والأيدولوجيا واضح، وإنما الكلام في طبيعة هذه العلاقة، وهو ما سيتضح بنحو أكبر في الجواب الثالث. وبعد النقاش في هذين الجوابين يمكن اختيار جواب آخر وهو:

الجواب الثالث: هناك علاقة بين الرؤية الكونية والأيدولوجيا بنحو عام والسياسية بنحو خاص، لكنها من قبيل علاقة المعلول بعلة الناقصة والمشروط بشرطه اللازم، فالأيدولوجيا بحاجة إلى رؤية كونية، لكن الرؤية الكونية لا تكفي لوحدها لتعيين أيديولوجيا بشكل ذاتي، وإنما ينبغي ضم مقدمات أخرى إليها لكي تنشأ أيديولوجيا معينة، وهذه المقدمات تختلف من قضية لأخرى، ونوضّح ذلك بالقضية القائلة: "الله موجودٌ" كإحدى قضايا الرؤية الكونية، لا يمكن أن نستنتج منها وحدها قضية "يجب عبادة الله" كقضية إيدولوجية لاحتياجنا إلى مقدمات أخرى فإن مجرد إثبات وجود الله، لا يثبت وجوب عبادته، بل يجب بالإضافة إلى ذلك إثبات صفاته الكمالية التي يترتب عليها استحقاقه للعبادة من قبيل أنه المالك الحقيقي وأنه المولى الحقيقي، وأن المالكية والمولوية الحقيقية تستوجب الطاعة وما إلى ذلك من مقدمات، ولكننا من دون القضية الأولى لا يمكن إثبات القضية الثانية، وعليه إذا كانت الرؤية الكونية صحيحة، والمقدمات الملحقة بها صحيحة، وطريقة التنظيم والاستنتاج صحيحة، تنشأ حينئذ أيديولوجيا صحيحة. [انظر: مصباح اليزدي، الإيدولوجية المقارنة، ص 12 - 13]

هذا هو الترتيب الصحيح بين الرؤية الكونية والأيدولوجيا، لكن هذا الترتيب وهو كما قلنا على نحو العلة الناقصة أو الشرط اللازم إنما يتم بين الإيدولوجيا كنظام فكري عملي منسجم داخليا، والرؤية الكونية كنظام فكري نظري منسجم كذلك، وأما الأيدولوجيات والرؤى الكونية الملققة التي لم يراعَ فيها الانسجام المنطقي الداخلي فلا يتوقع منها أن تكون بينها مثل هذه العلاقة والارتباط. [انظر المصدر السابق]

ثانيا: الرؤية الكونية الإلهية والمادية الآثار والنتائج في الأيدولوجيا السياسية

لا شك أنّ الفارق الأساسي بين الرؤيتين الكونية الإلهية والمادية يكمن في أنّ الإلهية تؤمن بعالم ما وراء الطبيعة، وخاصة الإله الخالق للكون، والرؤية الكونية المادية لا تؤمن بعالم ما وراء الطبيعة ولا بالإله، من الطبيعي أنّ الإيمان يترتب عليه لوازم نظرية وعملية، والرؤية الكونية المادية تُنكر ذلك وما يترتب عليه من لوازم، وأما الاختلاف بينهما في مجال الأيدولوجيا السياسية فإنه مترتب على اختلافهما في الرؤية الكونية طبعاً، وبعد اتضاح الفارق الأساسي بين الرؤية الكونية الإلهية والمادية سوف نُطلق على الأيدولوجيا السياسية الناشئة عن الرؤية الكونية الإلهية عنوان: الأيدولوجيا السياسية الإلهية، وعن الناشئة عن الرؤية الكونية المادية عنوان: الأيدولوجيا السياسية المادية.

الف- الأيدولوجيا السياسية الإلهية اللوازم والنتائج

تنطلق الأيدولوجيا السياسية الإلهية من رؤية كونية تؤمن بما وراء الطبيعة، وأهم موجود فيه هو واجب الوجود (الله تعالى) كما تؤمن بصفات كمالية ثابتة له بالبراهين والأدلة القطعية لا مجال هنا للبرهنة عليها بل نأخذها مفروضات مُسلمة - وأهم تلك الصفات فيما يرتبط ببحثنا هي: العلم المطلق، والحكمة التامة، والعدل الحقيقي المطلق، وبناءً عليه تعتقد هذه الرؤية بـ"محورية الله" فهو منشأ الوجود، والقانون، والأخلاق، والسياسة، وكل شيء، ولذا لا بد أنّ تلتزم بلوازم هذا الاعتقاد وأهم لوازم هذا الاعتقاد هي:

1- إنّ الخالق لا يترك خلقه سُدىً دون تزويدهم بكل ما يحتاجونه مادياً ومعنوياً لأن ذلك لا يتناسب مع صفاته الكمالية (من الحكمة والرحمة وكمال الجود) فلا بد أن يهتم بهداية الناس وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم مما لا يمكنهم بأنفسهم الوصول إليه وذلك من خلال إيصال التعاليم والنصائح والأحكام إليهم بالطريق الذي يراه مناسباً (وهو طريق الأنبياء كما تعتقده الأديان السماوية).

2- بما أنّ هذا الإله عالم وعلمه مطلق (كما ثبت بالبراهين الفلسفية) فلا بد أن يكون على المستوى التكويني (الخلق) والتشريعي وإصدار القوانين في غاية الكمال.

3- إنّ هذا الإله عادل لا يظلم ولا يمكن يساوي بين المُحسن والمسيء في هذه الدنيا، ومن لوازم العدل إعطاء كل ذي حق حقه، وبما أنّ مسرح الحياة الدنيا لا يتحقق فيه هذا الأمر فلا بد من الاعتقاد بتحقيقه في عالم آخر، وهو ما تؤمن به الأديان السماوية من المعاد ويوم الجزاء.

وبناءً على ما تقدم هناك عناصر أساسية ثلاثة في الرؤية الكونية الإلهية وتنعكس على الأيدولوجيا السياسية الإلهية وهي:

الأول: الله سبحانه وتعالى بصفاته الكمالية المطلقة، وهو مبدأ الوجود ومحوره.

ويترتب على هذا أنّ الله هو منشأ القانون، وأنه الحاكم الحقيقي.

الثاني: الإنسان ذو الجانبين المادي والمعنوي، ولا بد للمبدأ الحكيم أن يُلبّي احتياجات خلقه المادية والمعنوية، وأهم عنصر في المجال المعنوي هو التواصل معهم وهدايتهم عبر صفة من خلقه وهم الأنبياء.

ويترتب على هذا بعثة الأنبياء، ولزوم طاعتهم.

الثالث: الحياة ذو الجانبين المادي والمعنوي، وأنها لا تقتصر على الحياة الدنيا بل تستمر في عالم آخر وهو عالم الآخرة؛ لأن الرؤية الكونية الإلهية تؤمن بالمعاد تحقيقاً للعدل الإلهي، ودفعاً للعبث عن الإله الحكيم، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾

[سورة المؤمنون: 115]

ويترتب على هذا ضرورة لحاظ امتداد حياة الإنسان إلى ما وراء الموت في بناء الأيدولوجيا السياسية الإلهية.

ومن هنا يُعلم أنّ أية أيدولوجيا سياسية قائمة على الرؤية الكونية الإلهية الصحيحة يجب أن تلاحظ وتأخذ بعين الاعتبار هذه العناصر، وأن تضع سياساتها وفقاً لها.

النتائج المترتبة على الأيدولوجيا السياسية الإلهية:

1- الإيمان بالتشريعات الصادرة عن هذا المبدأ، ولزوم إطاعتها.

2- الإيمان بأن السلطة والحاكمة الحقيقية لله سبحانه.

3- الإيمان بالإنسان على أنه موجود ذو بعدين مادي ومعنوي.

4- الإيمان بالمعاد وما يترتب عليه من التزامات.

ب- الأيدولوجيا السياسية المادية الآثار والنتائج

تنطلق هذه الأيدولوجيا من رؤية كونية تؤمن باقتصار الوجود على المادة ولوازمها، ولذلك

لا تعتقد بوجود ما وراء الطبيعة، ومن ثمَّ لا تعتقد بأيِّ تأثير له في الكون عامة، وفي الإنسان خاصة، وكذلك تُنكر العالم الآخر والحياة بعد الموت.

ويترتب على هذه الأيدولوجيا لوازم وهي:

إنكار الرسالات السماوية، وإنكار وجود الأنبياء كأشخاص مرتبطين بالسماء، والاعتقاد بالإنسان ككائن ماديٍّ موجود ضمن عالم الطبيعة والمادة، منبثقٌ عن هذا العالم متأثراً به في وجوده المادي والمعنوي (بالمعنى الذي يتناسب مع الرؤية المادية)، وعليه تؤمن بـ"محورية الإنسان" في ظل الطبيعة، فالإنسان في إطار الطبيعة المادية هو منشأ القانون، وهو منشأ الأخلاق، وهو منشأ السياسة وما إلى ذلك.

وبناءً على ما تقدم فإن العناصر الأساسية في الأيدولوجيا السياسية المادية هي:

الأول: عالم الطبيعة، ويقوم هذا العالم مقام المبدأ في الرؤية الكونية الإلهية باعتباره منشأ الإنسان والمؤثر الأساسي فيه.

الثاني: الإنسان ذو البعد الواحد وهو محور الوجود.

الثالث: الاقتصار على التصديق بالحياة الدنيا والسعي إلى تلبية احتياجاتها.

النتائج المترتبة على الأيدولوجيا السياسية المادية:

1- الإيمان بأن الإنسان هو مبدأ تشريع القوانين وتُسمى هذه القوانين بالقوانين الوضعية.

2- الاقتصار في تشريع القوانين على البعد المادي من الإنسان وتجاهل الجانب الروحي لعدم الإيمان به.

3- تجاهل المعاد في عملية تشريع القوانين لعدم الإيمان به.

4- الاعتقاد بأن السلطة والحاكمة للإنسان، لعدم الاعتقاد بوجود ما وراء المادة وخاصة الإله.

المبحث الخامس: أهم الفوارق بين الأيدولوجيا السياسية الإلهية والأيدولوجيا السياسية المادية

أولاً: الاختلاف بين الأيدولوجيتين في منشأ القوانين والتشريعات

مما لا شك فيه أنَّ هناك صفات يجب توفرها فيمن يقوم بعملية تشريع القوانين وأهمها صفتان:

الأولى: ينبغي أن يكون المشرع متمتعاً بما لا نهاية له من المعرفة بكل المصالح الفردية والاجتماعية والجسمية والروحية والمادية والنفسية، لكي يتمكن من وضع قانون يشمل أبعاد كيان الإنسان كلها.

الثانية: ينبغي أن يكون المشرع بعيداً عن الأنانية والتعصب الفئوي ويضع القانون طبقاً للحق والعدالة...، وهكذا يجب أن يكون المشرع - فضلاً عن الوعي بالمصالح والمفاسد - شخصاً لا تؤدي به أنانيته وتعصبه الفئوي إلى إضاعة الحق والعدالة. [مصباح اليزدي، الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه، ص 33 - 34]

الف- الأيدولوجيا السياسية الإلهية والتشريع:

تعتقد الأيدولوجيا السياسية الإلهية أن الله هو صاحب الحق في تشريع القوانين لأنه الخالق والمالك الحقيقي وهو ما يعطيه حق التصرف في ملكه [انظر: عاشور، تأملات في الفكر السياسي، ص 49]، كما أنه يتصف بصفات الكمال المطلقة وأهمها العلم، والعدل والانصاف مما يجعله الوحيد القادر على تشريع الأحكام المثالية للإنسان. وقد أشار الله سبحانه إلى أن نبيه لا يحكم إلا بما أنزل الله من أحكام وقوانين فضلاً عن غيره من الحكام: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [سورة المائدة: 48].

أهم الفروق بين التشريع الوضعي والتشريع السماوي:

1- القانون الوضعي تنظيم بشري صاغه الإنسان وفقاً لعلمه المحدود، والتشريع السماوي جاء من عند الله الخالق العالم الحكيم، ولا يستوي عقلاً - ما صنعه الناس مع ما صنعه رب الناس.

2- الذين يضعون القانون الوضعي بشر خاضعون للأهواء والنزعات، وتتغلب عليهم العواطف البشرية، فيقعون تحت تأثيرها فتعيد بهم عن تقدير الحق، ومهما ارتقى الناس في سلم المعرفة فإنهم لا يستطيعون أن يدركوا حقائق الأمور، فتكون القوانين الوضعية عرضة للتغيير والتبديل، فتظل الحياة الإنسانية في اضطراب دائم. وأما الشريعة فهي وحي إلهي منزّه عن ذلك كله، فهي تنزيل الحكيم العليم، الذي يعلم أحوال عباده وما يصلح معاشهم ومعادهم، وما يحقق لهم الخير في دنياهم وأخراهم، يقول سبحانه وتعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الملك: 14].

3- قواعد القانون الوضعي مؤقتة تختص بمجموعة خاصة من الناس وفي عصر معين، وأما قواعد الشريعة فإنها لم تأت لقوم دون قوم، أو عصر دون عصر، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة سبأ: 28]، وقوله: ﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [سورة الأنعام: 19]

4- القانون الوضعي لا يتناول سوى المعاملات المدنية، ولا صلة له بعقيدة التوحيد، وأما الشريعة الإلهية الحقّة فإنها تتناول الايمان بالله ورسله وعالم الغيب، وعلاقة العبد بربه، وسلوكه الأخلاقي.

5- إنّ تأثير القوانين الوضعية لا يصل إلى النفس الإنسانية ولا يمكنه ردعها عن الشر، وذلك خلافاً للشريعة الإلهية الحقّة التي تنطلق من مبدأ الحلال والحرام وتهذيب النفوس وتزكيتها، والإيمان بالآخرة، وبذلك تُربيّ النفوس والضمائر مما يمثّل رادعاً باطنياً أشدّ تأثيراً من الرادع الخارجي. [انظر: القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، ص 19]

ب- الأيدولوجيا السياسية المادية والتشريع:

بما أنّ الأيدولوجيا السياسية المادية لا تؤمن بما وراء الطبيعة ولا بالإله الخالق، لذلك ترى أنّ الحق في تشريع القوانين يرجع إلى الناس أنفسهم، فالناس هم من يضعون القوانين لأنفسهم، فحق التشريع ثابتٌ للفئة التي يتم انتخابها، فالبرلمان باعتباره السلطة التشريعية هو الذي يملك حق إصدار التشريعات والقوانين [انظر: عاشور، تأملات في الفكر السياسي، ص 50]، ولذلك فإنّه: "من المسلّمات التي لا تقبل الجدل أنّ التشريع حقٌّ ثابتٌ للبشر في الأنظمة الديمقراطية" [الهي بخش، حق التشريع بين النظام الديمقراطي والإسلام، ص 230]. كما أنّ "الذاتية البشرية بلا استثناء تُعطي حق التشريع للإنسان، في صورة أفرادٍ منتخبين، وأفرادٍ غير منتخبين" [المصدر السابق، ص 255]

وفي ضوء ما تقدّم يتضح أنّ التشريعات والقوانين البشرية قاصرة بسبب قصور المُشرّع لها، كما أنّها محدودة بمجموعة خاصة من الناس وهم الذين لاحظهم الشخص المُشرّع عن وضعه للقانون، وكذلك تختص بزمان محدد، فلا يمكن للإنسان أن يضع قانوناً يشمل البشرية كلها، كما لا يمكنه وضع قانون يشمل العصور كلها، لأن الإنسان المُقنن مهما كان عالماً لا يحيط بالمستقبل ولا بكل الظروف الزمانية والمكانية، ومن هنا تكون القوانين والتشريعات الصادرة عنه محدودة وبمحااجة إلى تعديل وتجديد مستمرين، ورغم كل التعديلات تبقى ناقصة ومليئة بالإشكالات.

وقد يُقال: لا بأس بذلك فالإنسان يضع القوانين ثم يجربها لفترة من الزمن، وحينما يكتشف فيه ثغرات أو إشكاليات يقوم بتعديلها حسب الحاجة.

وفي الجواب نقول: إنَّ مجال التجارب في المجالات الاجتماعية ليس كمجال التجارب في العلوم الطبيعية، فهناك بينهما فوارق عديدة تؤثر تأثيراً بالغاً في النتائج المترتبة عليهما [انظر: الصدر، المدرسة الإسلامية، ص 25 - 32]، فإذا حصل خلل في التجربة الطبيعية يمكن تداركه بدون خسائر أو بأقل الخسائر، لكن الحال ليس كذلك في مجال التجارب الإنسانية وخاصة وضع القوانين إذ يمكن أن تترتب عليها أضرار جسيمة لا يمكن تداركها، وتؤثر في بناء المجتمع والأسرة، وفي سلامة الإنسان المادية والمعنوية كما نلاحظه في بعض القوانين التي تسنّها التشريعات الغربية المعاصرة من إباحة العلاقات غير الشرعية، والشذوذ، وتشريع قوانين تساهم في هدم الأسرة، فإن مثل هذه القوانين لا يمكن معالجة أضرار بتعديلها بعد حين.

ج- الموازنة بين الأيدولوجيتين:

لا ريب أنّ الأيدولوجيا السياسية الإلهية من الناحية النظرية تُقدّم صورة أعلى في مجال تشريع القوانين، فإن المشرّع فيها هو خالق الإنسان العالم بكل خفاياه واحتياجاته، المحيط بماضيه وحاضره ومستقبله، وهو العادل الذي لا يظلم، والحكيم الذي لا يعيب، ومن هنا تكون تشريعاته كاملة لا يعترها النقص، بخلاف الأيدولوجيا السياسية المادية التي توكل أمر التشريع إلى الإنسان بما يحمله من رؤية ناقصة وبما يمتلكه من علوم ناقصة دائمة التكامل، فتكون تشريعاته ناقصة تبعاً لعلومه وتصورات الناقصة، ولو تجاوزنا جهة النقص هذه نواجه مشكلة أخرى وهي أنّ الإنسان يمتلك ميولاً ورغبات شخصية وفئوية، وتتلاعب بها الرغبات والأهواء والشهوات، وكل هذه الأمور لها تأثير في الأحكام والتشريعات الصادرة عنه وخاصة اتباع الهوى الذي يضل الإنسان عن طريق الحق. وقد أشار الله سبحانه إلى التأثير السلبي للهوى قائلاً: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة ص: 26].

ثانياً: الاختلاف بين الأيدولوجيتين في منشأ مشروعية السلطة والحاكمية ونطاقها

وهذا البحث هو الأهم في الأيدولوجيا السياسية فنقول: إنّ القاعدة الأولى العقلية

في السلطة تقول: (لا سلطة لشخص على غيره ممن يتساوى معه)، إذ لا مبرر لأن يتحكم شخصٌ فيمن هو مثله وفي مرتبته، نعم للمالك أن يتصرف ويحكم في ملكه بحق السلطنة، فمن له الملك له السلطنة تبعاً له، وإذا أردنا أن نتعرف على الفارق الأساسي بين الأيدولوجيا السياسية الإلهية والأيدولوجيا السياسية المادية في منشأ السلطة يمكننا أن نقول:

تؤمن الأيدولوجيا السياسية الإلهية بوجود المبدأ المتعال (الله سبحانه وتعالى) وترى الإسلامية منها على أقل تقدير أنه مبدأ كل شيء سواء بالبرهان العقلي الفلسفي، أو بالدليل النقل القطعي ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة الزمر: 62]، ولذلك ترى أنه محور الوجود كله (المحورية الإلهية)، فكل ما سواه مخلوق له خاضع تكويناً لإرادته، وهو المالك الحقيقي لمراتب الوجود كلها مجردة أو مادية لأنه المنشئ لها، ويترتب عليه أنه فقط من يمتلك السلطة التكوينية الحقيقية، وله تبعاً لهذه السلطنة سلطنة أخرى وهي السلطنة التشريعية والحق الحكم: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [سورة الأنعام: 57]، وهذه السلطة التشريعية حق أصيل تابع للملكية الحقيقية التي يتمتع بها، كما أن له وحده الحق في تفويض الحكم لمن يراه صالحاً لذلك: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران: 26].

لا تؤمن الأيدولوجيا السياسية المادية بأي شيء خارج عالم المادة، ومن هنا نجد أنها تحصر الوجود كلها في الوجودات المادية، وبناءً على ذلك تتبنى (محورية الإنسان) وترى أن الإنسان مالك لنفسه وله الحق المطلق في التصرف فيها، نعم لا سلطة لأحد على أحد بحسب القاعدة الأولية كما تقدم، وبذلك تُرجع هذه الرؤية حق الحاكمية والسلطة إلى الناس أنفسهم فكل إنسان يحق له حكم نفسه والتصرف فيها بما يشاء شرط أن لا يضر بغيره، وبما أن الإنسان كائن اجتماعي بالطبع ولا بد له من أن يعيش ضمن مجموعة وهي ما نسميه المجتمع، ولا بد للمجتمع الإنساني من نظام يلتزم به وحامية تقوده، كما أنه لا يمكن للجميع أن يتصدوا لعملية الحكم، فإن الناس يمكنهم الاتفاق على اختيار من يحكمهم، وهو ما يُسمى بالعقد الاجتماعي⁽⁴⁾، وتوجد نظريات مادية أخرى من قبل السلطة للأقوى، أو اللاسلطوية (الأناركية: Anarchism) والتي يُطلق عليها أيضاً (الفوضوية) التي تذهب بكل اتجاهاتها

(4) العقد الاجتماعي: اتفاق افتراضي بين الأفراد أقاموا من خلاله الدولة حتى ينجوا من عدم النظام أو الفوضى. [اندرود هيوود، مدخل إلى الأيدولوجيات السياسية هامش ص54]. وهناك كتاب يحمل عنوان: العقد الاجتماعي أو مبادئ الحق السياسي من تأليف جان جاك روسو حيث وضع نظريته حول أفضل طريقة لإقامة المجتمع السياسي في مواجهة مشاكل المجتمع.

إلى أن: "السلطة السياسية في كل أشكالها، وخاصةً في شكل الدولة، شريرةٌ وغير ضروريةً معاً، ولذلك يتطلع الفوضيون إلى قيام مجتمع بدون دولة من خلال إلغاء القانون والحكومة" [أندرو هيود، مدخل إلى الأيدولوجيات السياسية، ص215].

ثالثاً: الاختلاف في منشأ السلطة القضائية

وهو مترتبٌ على من بيده التشريع ومن له الحكم والسلطة، فيتم تعيين السلطة القضائية نتيجة لتحديد الموقف فيهما. فإن الرؤية الكونية الإلهية ترى حق التشريع بيد الله سبحانه وحده، وكذلك الحق في الحاكمية والسلطة له سبحانه وينصب لذلك من يراه مناسباً، ويتبع ذلك السلطة القضائية فإن القاضي والقضاء في الرؤية الكونية الإلهية شأنٌ إلهي يتبع السلطتين التشريعية والتنفيذية، وأفضل بيانٍ لذلك ما ورد في القرآن الكريم: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة ص: 26]. فإن القضاء تابعٌ لجعل الله إنساناً معيناً خليفة له في الأرض بما يمتلكه من مواصفات خاصة، وعليه أن يحكم بين الناس بالحق، وكذلك خطابه لنبيه ﷺ: ﴿وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [سورة المائدة: 49]، فالحكم يجب أن يكون بما أنزل الله، أي مستنداً إلى الرؤية الإلهية، وليس نابغاً من الرؤية الإنسانية.

وأما الرؤية الكونية المادية فبما أنها تجعل الإنسان محوراً لها، فإن السلطة التشريعية والتنفيذية ترجع إلى الناس، وتتبعهما السلطة القضائية فإنها شأنٌ إنسانيٌّ تابعٌ لتشريعته التي يراها مناسبةً بحسب المصالح والمفاسد التي يحددها.

المبحث السادس: أهم الأيدولوجيات السياسية المادية المعاصرة

هناك الكثير من الأيدولوجيات السياسية في عالمنا المعاصر من قبيل: الليبرالية، المحافظة، الاشتراكية، القومية، اللاسلطوية (الفوضوية)، الفاشستية، الأصولية الدينية. [انظر: أندرو هيود، مدخل إلى الأيدولوجيات السياسية، ص5]. وبعض هذه الأيدولوجيات ذات أبعاد عديدة أخلاقية وسياسية واقتصادية، وبعضها خاص بالمجال السياسي، والمهم في بحثنا هو بُعدها السياسي، ونحن في هذا البحث سنقتصر على أهم الأيدولوجيات المؤثرة السائدة في عالم السياسة المعاصر

والتي تتبناها الأنظمة السياسية المعاصرة وتتخذها منهاجها لها، وهي (الليبرالية، والاشتراكية، والشيوعية، والقومية، والدينية) فنسعى إلى وضع كل واحدة من هذه الأيدولوجيات تحت الرؤية الكونية المناسبة لها سواء إلهية أو مادية.

أولاً: الأيدولوجيا الليبرالية (Liberalism):

الليبرالية في الأصل مصطلحٌ أجنبيٌّ مُعَرَّب، مأخوذ من (Liberalism) في الإنجليزية، و(Liberalisme) في الفرنسية، وتعني: (التحررية)، ويعود اشتقاقها إلى (Liberty) في الإنجليزية، و(Liberte) في الفرنسية، بمعنى الحرية [انظر: شحاته صقر، الإسلام والليبرالية، ص23]. ويُعد الفيلسوف التجريبي الإنجليزي "جون لوك" (John Locke) من أهم رواد الليبرالية في عصر النهضة من خلال النظرية السياسية والمبادئ التي تبناها في بعض رسائله وأهم تلك المبادئ عند لوك هي: حق الحياة والحفاظ عليها، وحق الحرية الذي يتساوى فيه الجميع، وحق الملكية الخاصة لكل إنسان [انظر: عبد المنعم عباس، راوية، جون لوك إمام الفلسفة التجريبية، ص 106]

والليبرالية اليوم تُمثّل أيدولوجيا أو مذهب فكري يركز على الحرية الفردية، ويعتقد أنّ الوظيفة الأساسية للدولة هي حماية حريات المواطنين مثل حرية التفكير، والتعبير، والملكية الخاصة، والحرية الشخصية وغيرها، ويقوم هذا المذهب على أساس علماني يدور حول محور الإنسان ويرى أنّه مستقل بذاته في إدراك احتياجاته، كما أنّ النظام الليبرالي الجديد بدأ يضع الإنسان بدلاً من الإله في كل المجالات، فالناس بعقولهم المفكرة يمكنهم أن يفهموا كل شيء، ويمكنهم أن يطوروا أنفسهم ومجتمعاتهم عبر فعل نظامي وعقلاني [انظر: مجموعة من المؤلفين، موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، ج1، ص190].

أهم القيم الليبرالية: الفرد، الحرية، العقل، العدالة، التسامح. [انظر: أندرو هيود، مدخل إلى

الأيدولوجيات السياسية، ص44]

الخلاصة: الليبرالية أيدولوجيا تقوم على الرؤية المادية، والمحور الأساسي فيها هو الإنسان بجانبه المادي، ولا دور للرؤية الإلهية فيها ولا للبعد الميتافيزيقي، فهي رؤية مادية خالصة.

النقاش: بحسب الرؤية الكونية الإلهية لا توجد مشكلة في هذه المفاهيم والقيم في حد ذاتها، لكن المشكلة تكمن في تفسيرها ودائرة تطبيقها، فالحرية التي تدعو إليها الليبرالية هي حرية مطلقة بنحوٍ ما وغير منضبطة كذلك، والعدالة أيضاً لها تفسير خاص في الليبرالية، وكذلك سائر القيم. ومن خلال التأمل في مبادئ الليبرالية وقيمتها بالتفسير الليبرالي يثبت بوضوح أنها

أيدولوجيا ماديّة قائمة على أساس الرؤية الكونية المادية، ولا تتناسب مجالٍ مع الرؤية الكونية الإلهية، ومن يتبناها ممن يدعي أنه يحمل رؤية كونية إلهية فهو على خطأ تام، نعم توجد قيم في الرؤية الإلهية تحمل بعض هذه العناوين من قبيل الحرية والعدالة والعقل والتسامح، لكنها مختلفةٌ تماماً عن التفسير المادي ويحمل روحاً معنوية ونطاقاً محدداً، ومن يدعي أنّ الحرية وأمثالها لا ينبغي تقييدها فهو على خطأ لأنها دون قيود تكون أسوأ من الاستبداد المطلق.

ثانياً: الأيدولوجيا السياسية الديمقراطية (Democracy)

الديمقراطية: مصطلح مُعَرَّب للمفردة اليونانية "I dmokrata"، وتعني حرفياً «حكم الشعب»، وتُشير إلى شكل من أشكال الحكم يشارك فيها جميع المواطنين المؤهلين على قدم المساواة - إما مباشرة أو من خلال ممثلين عنهم منتخبين - في اقتراح، وتطوير، واستحداث القوانين. وهي تشمل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تمكن المواطنين من الممارسة الحرة والمتساوية لتقرير المصير السياسي. ويطلق مصطلح الديمقراطية أحياناً على المعنى الضيق لوصف نظام الحكم في دولة ديمقراطية، أو بمعنى أوسع لوصف ثقافة مجتمع. [انظر: شبر، ملامح نظام الحكم السياسي، نظام الحكم الجمهوري على ضوء المبادئ الدستورية العامة، ج1، ص76؛ وكذلك انظر: العدوي، عبد الفتاح، الديمقراطية وفكرة الدولة، المقدمة].

وقد عرّفها إبراهيم لنكونن بقوله: "الديمقراطية هي حكم الشعب بواسطة الشعب ولأجل الشعب" [علاء محمد مطر، الديمقراطية وحقوق الإنسان، ص5]

وأما الاستبداد فهو عبارةٌ عن وصفٍ: "لأشكال متعددة من الحكم على رأسها حكام لديهم سلطة لا قيد عليها" [عبد الله حنا، أعلام العقلانية والتنوير ومجابهة الاستبداد، ص13]

وقد عبّر عنه عبد الرحمن الكواكبي بقوله: "يراد بالاستبداد عند إطلاقه استبداد الحكومات خاصة...، والاستبداد في اصطلاح السياسيين هو: تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف تبعة" [انظر: الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص15]

ومما تقدّم يتضح أنّ الديمقراطية: نظام سياسي يتم فيه اتخاذ القرارات بناءً على إرادة الشعب، حيث يحق للمواطنين المشاركة في عملية صنع القرار من خلال الانتخابات والمشاركة السياسية. وأما الليبرالية فهي: نظام سياسي يرتكز على حماية حقوق الفرد وحياته، وتكون

الحكومة مُلزَمة بالحفاظ على حقوق الأفراد ولا يحق لها التدخل في حرياتهم الشخصية. ولا تنكر الليبرالية ضرورة وجود قوانين وضوابط للحفاظ على النظام والأمن العام، ولكن يجب أن تحقق هذه القوانين توازنًا بين حماية الحريات الفردية والمصلحة العامة.

والخلاصة هي: إنَّ الحكم الديمقراطي يدور حول محور المشاركة السياسية واتخاذ القرارات بناءً على إرادة الشعب المباشرة أو غير المباشرة، بينما الحكم الليبرالي يدور حول محور حماية حقوق الأفراد وحرياتهم.

وعليه يتضح أنَّ هناك خطأً شائعاً يخلط بين الليبرالية والديمقراطية ويراهما متطابقين مضمونًا وأهدافًا، لكن الصحيح هو أنهما مختلفان كما تقدّم بيانه.

ومما تقدم في تعريف الديمقراطية وبيانها يتضح أنها أيديولوجيا ماديّة لا تأخذ بعين الاعتبار المسائل الإلهية في منهاجها النظري والعملي، فهي من النظريات الأنسية التي تجعل الإنسان محورًا لها، ولا دور للإله فيها.

نقاش الديمقراطية ونقدها:

اختلفت آراء المفكرين الإلهيين (المسلمين خاصة) حول العلاقة والنسبة بين الأيدولوجيا السياسية الإلهية والديمقراطية ويمكن القول بأن هناك رأيان أساسيان وهما: (التنافي، والانسجام):

الرأي الأول: وهو الرؤية التقليدية للمفكرين الإلهيين المسلمين الذين يرون أنَّ الديمقراطية مفهوم غريبٌ عن الفكر الإلهي وقد تم تحميله على المجتمعات الإسلامية من قبل المتغربين والعلمانيين، ويستدل هؤلاء على ما ذهبوا إليه بأن الرؤية الإلهية تؤكّد على حاكمية الله ومن نصبه، ورفض حاكمية الناس بما هم ناس، ورفض حكم الأغلبية مهما كان، وإنما المناط في الرؤية الإلهية على حاكمية الله وشرائعه وسننه، يقول العلامة الطباطبائي: "غاية ما كانت تدعو إليه الحكومات الاجتماعية - الديمقراطية وما يشابهها - أن ينظم أمر المجتمع على حسب ما يقترحه هوى أكثرية الأفراد أيا ما اقترحه فضيلة أو رذيلة وافق السعادة الحقيقية العقلية أو خالفها" [الطباطبائي، تفسير الميزان، ج 7، ص 277].

الرأي الثاني: وقد ذهب إليه التنويريون والمجددون الإسلاميون فهم يرون عدم التنافي بل الانسجام بين الأيدولوجيا السياسية الإلهية والديمقراطية، وهؤلاء المفكرين من قبيل

عباس محمود العقاد، والشيخ يوسف القرضاوي، وفهمي هويدي، وآخرون، يقول العقاد: "إنَّ شريعة الإسلام كانت أولى الشرائع السبّاقة إلى تقرير الديمقراطية الإنسانية؛ وهي الديمقراطية التي يكتسبها الإنسان كحقٍّ له يُحوّله أن يختار حكومته". [العقاد، الديمقراطية في الإسلام، ص 33].

كما حاول البعض ربط الأيدولوجيا الديمقراطية ببعض النظريات الإسلامية من قبيل نظرية الشورى وهو المبدأ الذي يتبناه أهل السنة في تعيين الحاكم، وفي اتخاذ القرارات السياسية، وناقش فيه الشيعة ويرفضونه في بعض الموارد وعلى أقل تقدير في تعيين الإمام بعد النبي ﷺ لأنهم يرون هذا شأنًا إلهيًا لا دخل للناس فيه.

الرؤية المعتدلة:

وقد فصل الباحثون في العلاقة بين الديمقراطية والرؤية الإلهية عامة والإسلامية خاصة بقوله: "إذا اعتبرنا الديمقراطية مذهباً اجتماعياً قائماً بذاته فليس لنا أن نقول إنها من الإسلام، أو أن الإسلام يقبلها ويستسيغها ويتضمنها، إذ هما مذهبان مختلفان في أصولهما وجذورهما، أو فلسفتها وتنتاج تطبيقها". [الصّلاي، علي محمد، الشورى فريضة إسلامية، ص 192]

وبما أننا نبحث الديمقراطية باعتبارها مذهباً اجتماعياً سياسياً قائماً بذاته فليست من الرؤية الإلهية في شيء، وعليه فالصحيح أن يُقال: إنَّ الديمقراطية بمفهومها المعاصر "الديمقراطية هي حكم الشعب بواسطة الشعب ولأجل الشعب" كما تقدّم تدخل في باب النظريات المنضوية تحت الرؤية الكونية المادية، وهي من النظريات العلمانية حالها حال الاشتراكية والليبرالية، ومجرد وجود بعض أوجه الشبه بين ما تبنته الرؤية الإلهية عامة والإسلام على الخصوص لا يجعل هذه النظرية إلهية أو إسلامية.

ثم يقول الباحث نفسه: "إذا نظرنا إليها على أنها اتجاه يحارب الفردية والاستبداد والاستئثار والتمييز، ويسعى في سبيل جمهرة الشعب ويشركه في الحكم، وفي مراقبة الحكام، وسؤالهم عن أعمالهم ومحاسبتهم عليها، فالإسلام ذو نزعة ديمقراطية بهذا المعنى بلا جدال، أو أن للإسلام ديمقراطيته الخاصة به أي نظامه يمنع استبداد الحكام واستئثارهم، ويمكن الشعب من مراقبتهم ومحاسبتهم" [المصدر السابق]. وهو ما نعبّر عنه بالمقبولية ففي هذه الدائرة يبرز دور الناس أو الشعب أو الأمة والشورى، فلولا تقبّل هؤلاء لا تقوم حكومة، كما أنّ الدين نفسه لو لم يقبله أحد من الناس عصياناً وكفراً لا يمكن تطبيقه على أرض الواقع، ونحن في الأيدولوجيا السياسية الإلهية لا ننكر دور الناس في الحكومة والحاكمية، لكن هذا

الدور يقتصر على المقبولية، لا المشروعية، فإن مشروعية الحكومة والحاكم من الله.

ثم إن الديمقراطية وإن لم تقم على أساس فلسفيٍّ محدد، لكنها تبقى أيدولوجيا ونظام مادي كما يقول محمد باقر الصدر: "فإنها الديمقراطية الرأسمالية" وإن كانت نظاماً مادياً ولكنها لم تبين على أساس فلسفيٍّ محدد" [الصدر، فلسفتنا، ص 39].

ثالثاً: الأيدولوجيا السياسية الاشتراكية [Socialism]:

مصطلح الاشتراكية بدأ استخدامه في عام 1828م في المملكة المتحدة، ثم أصبح مألوفاً في أربعينيات القرن التاسع عشر في عدد من البلدان الصناعية. وتحدت الاشتراكية كأيدولوجيا بمعارضتها التقليدية للرأسمالية، وبمحاولة تقديم بديل أكثر إنسانية وقيماً من الناحية الاجتماعية، وتعد المساواة القيمة المركزية بل والمُحددة للاشتراكية، وخصوصاً المساواة الاجتماعية، ويرى الاشتراكيون أنها تُشجع الحرية بمعنى أنها تُشبع الاحتياجات المادية وتُقدّم أسس التنمية الشخصية. [انظر: أندرو هيود، مدخل إلى الأيدولوجيات السياسية، ص 125]

ويمكن تعريف الاشتراكية بأنها: "نظام اجتماعي متكامل يختلف عن النظام الرأسمالي من حيث إلغاء الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، وعدم وجود طبقات". [مجموعة من المؤلفين، مفاهيم إسلامية، ج1، ص 29]

أبرز ملامح الاشتراكية وقيمها: الجماعة (الإخاء)، والتعاون (بدلاً من التنافس)، والمساواة (المساواة الاجتماعية أو المساواة في الناتج)، والملكية العامة أو المشتركة (الجهد الجماعي للعمل البشري هو الذي يُنتج الثروة، فينبغي أن يمتلكها المجتمع وليس الأفراد).

ولكل واحد من هذه المفاهيم تفسيراً خاصاً تطرحه الاشتراكية، وبعضها مطروحٌ في أيدولوجيات أخرى لكنه بمعنى مختلف عن تفسير الاشتراكيين له. [انظر: أندرو هيود، مدخل إلى الأيدولوجيات السياسية، ص 125 وما بعدها]

النقاش: في ضوء تعريف الاشتراكية والمبادئ التي تقوم عليها يتضح أنها داخلية ضمن دائرة الأيدولوجيا السياسية المادية؛ لأنها ناشئة عن رؤية كونية مادية، ولا يوجد في مبادئها أي لحاظ للرؤية الكونية الإلهية.

يُبين الشهيد السيد محمد باقر الصدر الاشتراكية في أشهر مذاهبها تقوم على النظرية

الماركسية والمادية الجدلية، وهي فلسفة خاصة للحياة، وفهمٌ ماديٌّ لها. [انظر: الصدر، فلسفتنا، ص 65]

كما يتضح من خلال ذلك أيضاً أنّ الاشتراكية كمذهب اجتماعي واقتصادي وسياسي يقوم على أساس الفكر المادي، ومجرد وجود بعض أوجه الشبهة مع الرؤية الإلهية لا يجعله داخلاً ضمن الرؤية الكونية الإلهية أو منسجماً معها كما ذهب إليه بعض المفكرين المسلمين قائلًا: "لقد اخترت القول باشتراكية الإسلام لأنني أعتقد أنّ الاشتراكية نزعة إنسانية تتجلى في تعاليم الأنبياء" [انظر: السباعي، مصطفى، اشتراكية الإسلام، ص 6]، لكن باحثين آخرين يرفضون ذلك مؤكّدين على التنافر بينها وبين الرؤية الإلهية، ومن هنا يقول أحد الباحثين في بيان النظام الاشتراكي: "يقوم هذا النظام على فلسفة مادية للحياة، ويتفاوت في تطرفه تفاوت مذاهبه المختلفة" [القطان، موقف الإسلام من الاشتراكية، ص 13].

وخلاصة النقاش للاشتراكية كنظام سياسي واجتماعي هو: إنّ هذه الأيديولوجيا تقوم على أساس الرؤية الكونية المادية، وهي رؤية بشرية خالصة، ومجرد أنها تشترك أو تتشابه مع بعض القوانين والتشريعات القائمة على الرؤية الكونية الإلهية لا يعني دخولها في هذه الرؤية، لأنه ما من رؤيتين إلا ويوجد بينهما بعض أوجه الشبه، المهم هو منشأ الأفكار القائمة عليها والهدف منها، فإن المفكر المادي يدعي السعي وراء العدل والمساواة، وكذلك المفكر الإلهي، لكن الأهداف والوسائل تختلف بينهما، كما يختلف تفسير هذه المفاهيم إلى حدّ قد يصل إلى ما يقارب التباين، ومن هنا يتم تصنيف المبادئ والأهداف والمفاهيم ضمن هذه الرؤية الكونية أو تلك كما هو الحال في العدل وما هو المقصود منه وما هي طرق وأساليب تحقيقه في المجتمع فإن لكل من الرؤية الكونية الإلهية وتتبعها الأيديولوجيا السياسية الإلهية الناشئة عنها، والرؤية الكونية المادية والأيديولوجيا السياسية التابعة لها مناهج وطرق في تحقيقه وإقامته.

رابعاً: الأيديولوجيا السياسية الشيوعية (Communism):

تُطلق الشيوعية على "التنظيم الاجتماعي والاقتصادي المبني على الملكية المشتركة من جهة، وعلى تدخل الدولة في حياة الأفراد من جهة ثانية" [صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ج 1، ص 715]. وقد عرّف البعض الشيوعية على أنها: "تصور شامل للكون والحياة والإنسان، ولقضية الألوهية كذلك، وعن هذا التصور ينبثق المذهب الاقتصادي. ثم إن الأوضاع السياسية والفكرية والاجتماعية المصاحبة له هي مجرد انعكاس له". [محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ص 259]، كما

عرّفها بعضٌ آخر بأنها: "مذهب فلسفي مادي إلحادي غير أخلاقي، استبدادي، يرى أن المادة هي أصل وأساس كل شيء، يفسر التاريخ تفسيراً مادياً، يرجعه إلى العوامل الاقتصادية وصراع الطبقات" [الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص 309].

الشيوعية هي نظام اجتماعي لا طبقي، تقوم فيه الملكية الواحدة للشعب بأسره على وسائل الإنتاج، والمساواة الاجتماعية التامة بين جميع أعضاء المجتمع...، ويتحقق المبدأ العظيم "من كل حسب كفاءته ولكل حسب حاجاته". [انظر: الصدر، اليوم الموعود، ص 339]

وأما الأيدولوجيا السياسية الشيوعية فهي: الأيدولوجيا السياسية القائمة على أساس النظرية الشيوعية ومبادئها الأساسية من قبيل: إقامة نظام سياسي اجتماعي لا طبقي، تكون فيه ملكية وسائل الإنتاج للشعب بأسره، والمساواة الاجتماعية التامة بين أعضاء المجتمع كلهم، وهي الأسس التي تُدافع عنها الأحزاب السياسية الشيوعية، والدول القائمة على أساس الأيدولوجيا الشيوعية.

رؤية الشيوعية للميتافيزيقيا والدين:

اشتهرت مقولة كارل ماركس (Karl Marx) عن الدين القائلة: "الدين أفيون الشعب" [B. McKown, Delos, The Classical Marxist, P52]، وكذلك يقول فريدريك انجلز (Friedrich Engels): "إنَّ الطبيعة توجد وجوداً مستقلاً، وهي الأساس الذي نشأنا عليه نحن البشر وترعرعنا، ونحن أنفسنا نتاج لها، وليس ثمة شيء آخر خارج على الطبيعة" [الجعلي، الإيمان بالله والجدل الشيوعي، ص 30]، وكذلك يقول: "وما الكائنات العليا التي خلقتها خيالاتنا وأوهامنا الدينية سوى الانعكاس الوهمي لكينونتنا" المصدر السابق]. وقد تحدّث جوزيف ستالين (Joseph Stalin) عن مسألة الإله قائلاً: "إنَّ العالم يتطوّر تبعاً لقوانين حركة المادة، وهو ليس بحاجة لأي إله" [المصدر السابق، ص 32].

أهم الأفكار الشيوعية:

1. الإيمان بالمادة فقط وإنكار ما وراء المادة، 2. التفسير المادي للتاريخ، 3. معاداة الدين، 4. محاربة الملكية الفردية، 5. محاربة نظام الأسرة. [انظر: الحمد، الشيوعية، ص 53 - 58]

النقاش: يمكن أن يُقال إنَّ الشيوعية تحمل رؤية كونية مادية تُنكر من خلالها ما وراء

الطبيعية، وتقف في الجانب الآخر للرؤية الإلهية بشكل عام، وللدن بشكل خاص وكذلك الأيدولوجيا السياسية القائمة عليها أيدولوجيا مادية خالصة. يقول الشهيد الصدر: "إنّ هذا المذهب الذي تمثّل في الاشتراكية الماركسية، ثمّ في الشيوعية الماركسية، يمتاز على النظام الديمقراطي الرأسمالي بأنه يركّز على فلسفة مادية معيّنة، تتبني فهماً خاصاً للحياة، لا يعترف لها بجميع المثل والقيم المعنوية، ويعلّلها تعليلاً لا موضع فيه لخالق فوق حدود الطبيعة، ولا لجزء مرتقب وراء حدود الحياة المادية المحدودة" [الصدر، فلسفتنا، ص 39]. وعليه نلاحظ أنّ الشيوعية تحمل رؤية فلسفية مادية، وفهماً خاصاً للحياة لا مجال فيه للأمور المعنوية ولا الموجودات العليا المجردة عن المادة، ولا الروح، ويتبع ذلك إنكار الجزاء في عالم الآخرة، وهما الركيزتان الأساسيتان لكل رؤية كونية إلهية وتتبعها الأيدولوجيا السياسية الإلهية، أي الايمان بالإله، والاييمان بالبعث والجزاء.

خامساً: الأيدولوجيا السياسية القومية (Nationalism)

القومية العربية

التعريف: "حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم، على أساس من رابطة الدم واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين. وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا" [الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج 1، ص 444].

لقد تأسست الحركة القومية العربية كحركة في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين أي في أواخر سيطرة العثمانيين على العالم العربي، وربما تكون ردّة فعلٍ لبعض تصرفات العثمانيين العنصرية تجاه العرب، ثم أصبحت علنيّة بعد ذلك متخذةً من بيروت ودمشق مركزاً لها، ثم أصبحت أيدولوجيا سياسية واضحة المعالم في المؤتمر العربي الأول المنعقد في باريس في عام 1912م. [انظر: المصدر السابق]

يمكن القول بأن غالبية المنتمين للحركة القومية كانوا من الأقليات الدينية (المسيحيون في الغالب)، ولم تتحول إلى حالة عامّة إلا عندما تبناها الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر (1918 - 1970م) وقد عُرفت عنه مقولته الشهيرة: "نحن مع القومية العربية مجتمعةً من المحيط الأطلسي إلى الخليج الفارسي"، لكن هذه الأيدولوجيا تعرضت لانتكاسات شديدة حتى أصبحت هامشيّة في أيامنا هذه. كما دعت إلى إحياء الأيدولوجيا القومية العربية كثير

من الحركات والأحزاب لعل أبرزها حزب البعث العربي الاشتراكي⁽⁵⁾.

النقاش: من الواضح أنَّ الأيدولوجيا القومية عامة والعربية خاصة خارجةً عن الرؤية الكونية الإلهية فتخرج تبعاً لذلك عن الأيدولوجيا السياسية الإلهية، لأنَّ الأساس في الأيدولوجيا القومية هو المعايير القومية والعنصرية دون أي لحاظٍ للرؤية الإلهية، ويرى الداعون إلى الفكر القومي أنَّ أهم الأسس التي تُبنى عليها القومية العربية هي: اللغة، والدم، والأرض، والتاريخ والآمال المشتركة، على اختلاف بينهم في ترتيبها بحسب الأهمية، ولا نرى أي تواجد للدين أو أي مسألة إلهية ضمن هذه الأسس مما يعني أنها رؤية ماديّة علمانية ترى انحسار دور الدين في الشأن الشخصي الخاص [انظر: الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج 1، ص 446]

يقول ساطع الحصري وهو من أهم منظري القومية العربية: "إنَّ أس الأساس في تكوين الأمة وبناء القومية هو: وحدة اللغة، ووحدة التاريخ..، لا الدين، ولا الدولة، ولا الحياة الاقتصادية تدخل بين مقومات الأمة الأساسية" [الحصري، ما هي القومية، ص 210]، وهذه العبارة تكشف بوضوح عن ابعاد الدين عن هذه الأيدولوجيا، فيتضح أنها رؤية علمانية تدخل ضمن الرؤية الكونية المادية.

سادساً: الأيدولوجيا السياسية الإلهية

تقدّم أنَّ الأيدولوجيا السياسية الإلهية تقوم على الرؤية الكونية الإلهية، ومن هنا تصطبغ كل معالمها بهذه الرؤية، ويمكن أن نلخص أهم معالمها فيما يلي:

أ- الإيمان بعالم ما وراء الطبيعة، وعلى رأسه الإيمان بالإله، وفي أسمى صورهِ الإيمان بالتوحيد بمختلف أنحاء (التوحيد الذاتي، والتوحيد في الخالق، وفي الألوهية، وفي الربوبية)، وتخصيص الحكم والتشريع بالله، ووجوب التسليم له.

ب- الإيمان بصفات المبدأ الإلهي الكاملة، وأهم تلك الصفات هي صفة العدل على مستويي التكوين والتشريع.

ج- الإيمان بالاتصال بعالم ما وراء المادة، وهو عبارة عن الإيمان بالوحي الإلهي ودوره الأساسي في بيان الأحكام والتشريعات الإلهية، والإيمان بالإمامة والولاية المستمرة.

(5) تأسس حزب البعث العربي الاشتراكي في عام 1947م في سوريا على يد ثلاثة من دعاة القومية العربية وهم: ميشيل عفلق، وصلاح الدين البيطار، وزي الأرسوزي.

د- الإيمان بكرامة الإنسان واختياره وحرية مع مسؤوليته أمام وجدانه وأمام الله تعالى.

ز- الإيمان بالحياة الأخرى، وأنَّ الحياة الدنيا ما هي إلا مقَدِّمة لتلك الحياة الأبدية، ويتجلى ذلك بالإيمان بالمعاد وبدوره البناء في مسيرة الإنسان التكاملية إلى الله.

ويمكن تلخيص ذلك كله بعنصرين أساسيين وهما: المبدأ الإلهي بصفاته العليا وأهمها العدل، والإنسان الحر المختار الذي يمتلك إمكانية بلوغ الكمال المعنوي، ولا تنتهي حياته بالحياة الدنيا الماديّة بل تمتد وتستمر إلى ما بعد الموت بحياة أرقى وأسمى.

وعلى أساس هذه العناصر الخمسة تقوم الأيدولوجيا السياسية الإلهية، وأي أيدولوجيا تتجاهل عنصرٍ من عناصرها لا يمكن عدّها أيدولوجيا سياسية إلهية، فضلا عن تلك الأيدولوجيا التي تتجاهلها كلها كما هو الحال في الأيدولوجيات السياسية السائدة في عالمنا المعاصر.

الخاتمة

أهم النتائج التي تمخّض عنها هذا البحث هي:

1- أنّ أي نظرية أو فلسفة في الحياة أو أيديولوجيا لا بد من قيامها على رؤية كونية معيّنة، ويؤدي اختلاف الرؤية الكونية إلى اختلاف الأيدولوجيا الناشئة عنها بلا ريب؛ لأن الرؤية الكونية هي الأساس والمبنى الذي قامت عليه تلك الأيدولوجيا التي يمكن القول بأنها الجانب العملي للرؤية الكونية، ومن هنا لا بد من قيام الأيدولوجيا السياسية على رؤية كونية سواء إلهية أو ماديّة، وتعني الأيدولوجيا عامة والسياسية خاصة تحديد ما ينبغي وما لا ينبغي في المجال المخصصة له، وهذه الأيدولوجيا هي المدرسة التي تدعو الإنسان إلى هدف معيّن وتحدد له هدف سياسي معيّن، كما تحدد له طريق الوصول إلى ذلك الهدف.

2- إنّ العلاقة بين الرؤية الكونية والأيدولوجيا السياسية هي من قبيل علاقة المعلول (الأيدولوجيا السياسية)، بعلته الناقصة (الرؤية الكونية)، فالأيدولوجيا السياسية مثلاً بحاجة إلى رؤية كونية، لكن الرؤية الكونية لا تكفي لوحدها لتعيين أيديولوجيا سياسية بشكل ذاتي، وإنما ينبغي ضم مقدمات أخرى إليها كما تقدم بيانه في البحث لكي تنشأ عنها أيديولوجيا معيّنة، فإذا كانت الرؤية الكونية صحيحة، والمقدمات الملحقه بها صحيحة، وطريقة التنظيم والاستنتاج صحيحة، تنشأ حينئذ أيديولوجيا سياسية صحيحة.

3- الرؤية الكونية الإلهية هي الرؤية الكونية التامة لأنها تلاحظ الوجود الحقيقي كله، ولا تتجاهل شيئاً منه، بخلاف الرؤية الكونية المادية فإنها رؤية ناقصة لأنها لا تؤمن بوجود وراء المادة، وينعكس هذا التمام والنقص على الأيدولوجيات السياسية الناشئة عنها فتكون الأيدولوجيا السياسية الإلهية كاملة شاملة لأنها مبنية على الرؤية الكونية كونية كذلك، وذلك بخلاف الأيدولوجيا السياسية الماديّة فإنها ناقصة تبعاً لبنائها على رؤية كونية ناقصة.

4- هناك عنصران أساسيان في الأيدولوجيا السياسية الإلهية وهما: الإله بصفاته العليا، والإنسان الحر المختار الذي يتمتع بقابلية الكمال المعنوي.

قائمة المصادر

القرآن الكريم

الطباطبائي، محمد حسين، نهاية الحكمة، قم، مركز انتشارات مؤسسه آموزشي و پژوهشي امام خميني رحمته الله عليه، ط4، 1386 هـ.ش.

الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، قم، مؤسسة إسماعيليان، ط2، 1390 هـ.ق.

الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1407 هـ.ق.

ابن منظور، محمد، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط3، 1414 هـ.ق.

الشريف الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، طهران، ناصر خسرو، بلا تاريخ.

مجموعة من المصنفين، الموسوعة الإسلامية العامة، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، ط1، 2003م.

مصباح يزدي، دروس في العقيدة الإسلامية، بيروت، دار الرسول الأعظم، ط8، 2008م.

العبود، الرؤية الكونية الإلهية الدوافع والمناهج، بلا مكان، نور للدراسات، ط2، 2012م.

العروي، عبد الله، مفهوم الأيدولوجيا، الدار البيضاء - المغرب، المركز الثقافي العربي، ط8، 2012م.

زكريا، جاسم، المدخل إلى علم السياسة، سوريا، منشورات الجامعة الافتراضية السورية، بلا طبعة، 2018م.

أحمد أنور، النظرية والمنهج في علم الاجتماع، مصر، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، بلا طبعة، 2014م.

مصباح اليزدي، محمد تقي، الإيدولوجية المقارنة، بيروت، دار المحجة البيضاء، ط1، 1992م.

ستالين، جوزيف، المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، ترجمة: حسين قوجمال.

وهبه، مجدي المهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط2، 1984م.

خاكي قراملكي، الأيدولوجيا دراسة في المصطلح والمفهوم وحقول الاستعمال، النجف، العتبة العباسية، ط1، 2020م.

الصدر، محمد باقر، اقتصادنا، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ص14، 1981م.

زلغوط، يوسف، الأيدولوجيا ووظائفها السياسيّة، بيروت، مجلة أوراق ثقافية، مج3، ع12، 2021م.

غيضان، الأيدولوجيا في الدين والسياسة، مجلة الاستغراب، بيروت، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العدد 6، شتاء 2017.

مطهري، مرتضى، الرؤية الكونية التوحيدية، طهران، منظمة الاعلام الإسلامي، ط2، 1989م.

مصباح اليزدي، محمد تقي، الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه، ترجمة محمد شقير، بيروت، دار الهادي، 2004م.

عاشور، زهير، تأملات في الفكر السياسي، المنامة - البحرين، دار الوفاء، ط1، 2021م.

القطن، مناع، تاريخ التشريع الإسلامي، القاهرة، مكتبة وهبة، ط5، 2001م.

القطن، مناع، موقف الإسلام من الاشتراكية، الرياض، دار الثقافة الإسلامية بالرياض، بلا تاريخ.

الهي بخش، حق التشريع بين النظام الديمقراطي والإسلام، اسلام اباد باكستان، مجلة البصيرة، المجلد1، العدد1، 2012م.

الصدر، محمد باقر، المدرسة الإسلامية، القاهرة بيروت، دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني، ط1، 2011م.

الصدر، محمد باقر، فلسفتنا، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ط3، 2006م.

أندرو هيود، مدخل إلى الأيدولوجيات السياسية، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2012م.

عبد المنعم عباس، راوية، جون لوك إمام الفلسفة التجريبية، بيروت، دار النهضة العربية، 1996م.

مجموعة من الباحثين بإشراف علوي السقاف، موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، الناشر: موقع الدرر السنوية [dorar.net].

شبر، رافع، ملامح نظام الحكم السياسي، نظام الحكم الجمهوري على ضوء المبادئ الدستورية العامة، مصر - القاهرة، المركز العربي للدراسات والبحوث العلمية، ط1، 2020م.

العدوي، عبد الفتاح، الديمقراطية وفكرة الدولة، مصر - الجيزة، وكالة الصحافة العربية ناشرون، 2019.

- علاء محمد مطر، الديمقراطية وحقوق الإنسان، فلسطين، جامعة الإسرائ، ط2، 2019.
- عبد الله حنا، أعلام العقلانية والتنوير ومجابهة الاستبداد، حلب، نون للنشر والطباعة، ط1، 2011م.
- الكواكي، عبد الرحمن، طبائع الاستبداد، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي، 2010م.
- العقاد، عباس محمود، الديمقراطية في الإسلام، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي، 2014م.
- الصّلابي، علي محمد، الشورى فريضة إسلامية، دمشق - سوريا، دار ابن كثير، 2015م.
- الجهني، مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الرياض، دار الندوة العالمية، ط4، 1420 هـ.ق.
- الصدر، محمد، اليوم الموعود، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ط1، 1412 هـ.ق.
- الجعلي، فتح الرحمن، الإيمان بالله والجدل الشيوعي، جدّة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط1، 1984م.
- الحمد، محمد إبراهيم، الشيوعية، الرياض، دار ابن خزيمة، ط1، 2002م.
- الحصري، ساطع، ما هي القومية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، نوفمبر 1985م.
- B. McKown, Delos, The Classical Marxist Critiques of Religion: Marx, Engels, Lenin, Kautsky, Belgium, 1st ed. 1975.